أولا :

التاريخ القديم

دراسة نقدية للمصادر والآثار والأصول تاريخ إفريقيا الشمالية القديم الإنسانية والحضارية

أحمد السليماني

إن الدارس لتاريخ إفريقيا الشمالية القديم يجد نفسه أمام مشكل المصادر المحدودة نسبيا، فهناك نقص كبير من ناحية المعلومات المتعلقة بتاريخ نوميديا والبلاد الليبية على العموم من الناحية الحضارية والاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والاقتصادية، ويعود النقص أساس لقلّة المصادر الكتابية لهذا التاريخ. مع أن المعضلة الكبرى تكمن في عدم فك رموز اللغة الليبية القديمة ولو أن فكها لا يكفي لأنها تعني في حدود علمنا النقوش الكتابية لا غير، فليس هناك كتب مدونة في المغرب القديم كتبت بهذه اللغة، حتى يوبا الثاني المؤرخ الشهير ألف كتبه باللغة الإغريقية رغم معرفته للغة الليبية يومئذ. وهذا يدل على أنها لم تكن لغة عالمية مع الأسف مثل البونية أو اليونانية أو البابلية. ولكن فك رموز اللغة الليبية مع هذا يعد فاتحة خير كمدخل للتعرف على كنه الحضارة الليبية القديمة.

ومما زاد الطين بلّة أن النوميديين القدماء لم يكن لهم مؤرخون أرّخوا وكتبوا تاريخ إفريقيا الشمالية القديم، ويمكن أن نستثني القديس أوغسطين الذي كتب تاريخا لقرطاجنة ونوميديا ضمن دراسته لمدينة الله ولكن هو معروف كفيلسوف ديني أكثر منه مؤرخاً.

وقبل الخوض في هموم تاريخ إفريقيا الشمالية القديم كقضية المصادر ومضمون

هذا التاريخ والذي أودّ دراسته بشكل نقدي إرتأيت إعطاء نظرة عن تطوّر مفهوم التاريخ عند المؤرخين القدماء.

في روما مثلا كانت كلمة تاريخ تعني كل معرفة يمكن الوصول إليها عن طريق البحث والإستقصاء، أما مفهوم التاريخ عند المؤرخين أي معرفة تلك الأحداث التي صاحبت الظواهر الإنسانية، وكان لهؤلاء المؤرخين أكبر الأثر في سيادة الإتجاه الفني الذي طبع الكتابة التاريخية حتى أواخر القرن الثامن عشر فقد إجتهدوا في التصور الفني لأحداث الماضي لدرجة أن معظمه جاء معتمدا على التصوّر أكثر من إعتماده على الحقائق التاريخية الموضوعية، ومن ثمّ جاءت كتابة التاريخ في صورة قصصية ذلك أنها إتخذت من الأبطال والآلهة محاور لها، ويتمثل ذلك بوضوح في الإلياذة والأوديسة للشاعر هوميروس، وقد أكّد ذلك هيكاتيوس الملطى في منتصف القرن 6 ق.م حيث أرّخ لنشأة الإغريق فقال:

«لا أقص خبرا ما لم أعتقد بصحته»، فأساطير الإغريق عديدة وما هي إلا خرافة وقد كان هيرودوت [1] - صاحب كتاب التاريخ الشامل، ويعدُّ أوّل المؤرخين الذين اعتنوا بالوصول إلى الحقائق التاريخية وتدوينها. وقام بالتجوال في أقطار الشرق باحثاً في ماضيه ومتقصياً أحواله، وجامعاً لأخباره، وأورد لنا هيرودوت أخباراً تاريخية عن القبائل النوميدية والموريطانية، وكان جهده هذا أولى الخطوات نحو البحث التاريخي والذي ظهر بشكل واضح حينما أرّخ للصراع بين الإغريق والفرس من حيث هم أصحاب مدنيتين متناقضتين.

على كل حال فإن ثوكيديديس يعد أكثر تطوراً من هيرودوت حيث تعمّق في البحث في الحقائق ونقدها من خلال معالجة كافة الروايات حولها. إلا أنه إقتصر في ذلك على أحداث الحرب والسياسة حين أرّخ لحرب البلوبونيز بين أثينا وأسبرطة، وقد جعله ذلك أكثر تمجيدا لروح البطولة الفردية الأمر الذي أصبح غالبا على كثير من الدراسات التاريخية لفترة طويلة، كما أن ثوكيديديس «هو صاحب فكرة التاريخ يعيد نفسه»، وهو الذي أتى بفكرة دورة التاريخ والتي قصد منها إعتبار التاريخ أداة لتحديد طريق المستقبل، على أن تلك الفكرة قد تعرّضت لهجوم شديد كان جوهره أنه لا وجود لإيقاع مُوحّد أو خُطة موحّدة في التاريخ، إذ أنه ليس من المحتمل إطلاقا أن يتكرر الأشخاص والمواقف والظروف بنفس الدرجة من الدّقة إلا أن هذا

لا ينفي وجود ظروف مشابهة يمكن أن تسفر عن نتائج متشابهة وقد كان بوليبيوس من أعظم مؤرخي الإغريق وأخذ بفكرة ثوكيديدس عن دورة التاريخ في تأريخ لنشأة روما ونظامها السياسي وفتوحاتها الأولى.

التاريخ كمادة فنية

وورث الرومان عن الإغريق النظرة إلى التاريخ من حيث هو مادة فنية وأدبية وإستمرّت هذه الفكرة في العصر الوسيط وحتى في عصر النهضة كما أن الفلاسفة المؤرخين من روما نطيقيين رومانسيين مثل روسو (1712م - 1778م) ورولان (1661م - 1741م) وأتباع حركة التنوير الذين يحتكمون إلى العقل مثل فيكو (1668 م - 1774م) وفولتير (1694م - 1778م) لم يلتزموا بالدّقة في البحث عن الحقائق التاريخية فجاءت كتاباتهم في التاريخ أقرب إلى القصص الخيالية منها إلى التاريخ العلمي.

ومع ظهور العلوم الحديثة أصبح ينظر إلى التاريخ على أساس أنه يشكل مجالا من مجالات المنهج العلمي ولا يقل في ذلك عن غيره من العلوم. وهاجم بعض المؤرخين فكرة علمية التاريخ فهاجمها بعض العلماء منذ القرن التاسع عشر، وإستندوا في ذلك إلى أن التاريخ لا يمكن اعتباره علما لأن مادته لا تتسم بالتحديد أو الثبات، وليس من اليسير أن نرصد وقائعه على نحو مباشر وأن كل حادثة من أحداثه لها شخصيتها المستقلة من حيث الظروف، والعوامل، والعلل، والنتائج.

ثم ظهرت نظرية هيجل في التاريخ وهي مبنية على أساس تفسير التاريخ بشكل جدلي، وجاء بعده ماركس بمفهومه المادّي للتاريخ وهو ينكر فعل وأثر الجواني الروحية مثل الدين، والأخلاق، مع أنه ثبت أن هذه الجوانب لها دور فعّال في حركة التاريخ.

وساهم الإسلام مساهمة فعّالة في تدوين التاريخ القديم بل التاريخ العالمي، فالقرآن الكريم يعد مصدرا رئيسيا، فقد أورد لنا قصصا دينية [2] يمكن إعتبارها كمصادر تاريخية بما يخص الأمم الغابرة كعاد وثمود، والفراعنة والعبرانيين، والعرب، وأخبار وقصص الأنبياء مثل موسى ويوسف، ونوح، وعيسى عليهم السلام،

والفنيقيين أي الكنعانيين أهالي بلاد الشام القدماء. والقرآن الكريم هو كتاب تاريخ بل مصدر تاريخي وهو في نفس الوقت كتاب هداية وإرشاد أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون دستورا للمسلمين، ومنهاجا يسيرون عليه في حياتهم، ويدعوهم إلى التوحيد وتهذيب النفوس، وإلى وضع مبادئ للأخلاق، وميزان للعدالة. وقد ذكر القرآن الكريم أحداثا دينية وسياسية، واقتصادية كان مسرح تلك الأحداث هي بلاد العرب، والعراق، ومصر وسورية، كما ذكرت آنفاً، وجاء فيه ذكر سيرة محمد ﷺ.

مصادر تاريخنا القديم

ونعود إلى تاريخنا القديم فالدارس لهذا التاريخ تعترضه عقبات كثيرة، ويعود السبب الرئيسي في مُعضلة هذا التاريخ هو قلّة المصادر الرئيسية لأنه لم يكن لنا في العهد القديم مؤرخون من أبناء المنطقة قاموا بتدوين تاريخ إفريقيا الشمالية القديم وإنما قام بكتابة هذا التاريخ خصوم المغرب العربي من إغريق ورومان وكتبوا عن تاريخنا من خلال أحداث تاريخ وقعت في نوميديا أي الجزائر وإفريقيا، وموريطانيا الغربية، كان لها علاقة بالتاريخ الروماني وهكذا فقد إرتبط هذا التاريخ ويا أسفاه أشدّ الإرتباط بالتاريخ الروماني بسبب غياب مؤرخين قدماء من الجزائر أو تونس أو المغرب ماعدا مؤرخ جزائري ظهر في وقت متأخر وهو القديس أوغسطين الذي عاش في القرن الخامس الميلادي وإرتباط تاريخنا بالتاريخ الرُّوماني كان بمثابة شرٌّ لابد منه - ورُبَّ سائل لماذا هذا الإرتباط... الجواب: إن مصادرنا إرتبطت بالتاريخ الروماني ومصادره لأن تاريخنا القديم ونقولها بصراحة لم يعرف حضارة قوية متكاملة لها مؤرخون يكتبون عنها ويؤرخون تاريخها ومن سوء الطابع أن منطقة إفريقيا الشمالية في القديم عانت من نكبات المسخ والهدم الحضاري المنظم ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك بتهديم مدينة قرطاجنة (3) في تونس وحرث أرضها من قبل الرومانيين في 146 ق.م. مع العلم أن القرطاجيين لم يكونوا غزاة لأن أواصر القرابة كانت تجمعهم بالنوميديين فكلهم ساميون وتجمعهم نفس الأواصر مع العرب أي عرب الجزيرة العربية.

تاريخنا من مرآة الإغريق والرومان

ومصادر تاريخ المغرب مرتبط بالتاريخ الروماني ومصادره نوعان:

1 ـ مصادر أدبية تشمل مؤلفات المؤرخين والخطباء، والشعراء، والكتاب الرومان أو اليونان الذين وصلتنا بواسطتهم معلومات تاريخية عن المنطقة الليبية أو منطقة إفريقيا الشمالية، وهذه المؤلفات تتضمن معلومات تفيد في كتابة تاريخ روما القديمة وتاريخ مدينة أوتيكا وتاريخ ليكسوس (أي العرائش) وتاريخ مدينة قرطاجنة على الساحل التونسي، وتاريخ النوميديين وملوكهم القدماء وتاريخ المدن الجزائرية القديمة التي أنشأت في (العهد الإفريقي المبكر، أو في العهد الفنيقي، أو في عهد الإحتلال الروماني مثل إيكوسيوم (أي مدينة الجزائر العتيقة)، ومدينة تيبازة، ومدينة إيجيلجيلي أي جيجل، ومدينة لونة، ومدينة سيغا، ومدينة قيرتا، ومدينة تيمقاد، وكويكول، وسيطيفيس القيصرية.

على كل حال هناك أخبار هامّة لدى المؤرخين الإغريق والرومان عن أحوال إفريقيا الشمالية من الناحية التاريخية، ولو أنها غير وافية، وتمثل في بعض الأحيان شذرات فقط نظرا إلى إتلاف كثير من النصوص التاريخية القديمة سواء أكانت باللغة الإغريقية أو باللغة اللاتينية وسوف أتعرَّض إلى المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ المغرب القديم الذين يُعدُّون مصدرا أساسيا لهذا التاريخ.

2 ـ ثانيا هناك مصادر غير أدبية أو غير كتابية وتتكون من الوثائق، والرّسوم والنقوش الكتابية، والمسكوكات، والآثار المادية التي إكتشفها علماء الآثار وبفضل هذه الآثار تمّ حل كثير من الألغاز الغامضة، ولكن مفتاح سرّ تاريخ حضارة المغرب القديم يكمن في فك رموز اللغة الليبية التي لم تجد حلا نهائيا لها بعد مثلما فعل جان فرانسوا شامبوليون عندما فك رموز اللغة الهيروغليفية الفرعونية وبذلك حصل على إنتصار كبير في إكتساب معارف ثمينة تخصُّ جوانب عديدة في الحضارة المصرية القديمة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أُحيي مجهودات إجبَرْت من الولايات المتحدة الذي ألف كتابا (4) عنوانه مدخل إلى دراسة النقوش اللاتينية وسار المؤرخون الرومان الأوائل على نهج الكهنة العظام فكتبوا التاريخ في شكل الحَوْليات، ويتجلى هذا في الملاحم الرومانية الأولى مثل حوليات «الشاعر إينوس» والحرب اليونية للشاعر

نايفيوس (٥). ومما يجب ذكره أنه ضاعت كل المؤلفات التاريخية التي كتبت قبل منتصف القرن الأول قبل الميلاد ماعدا بعض الشذرات أو مقتطفات ونصوص تاريخية مستورة ويدعوها المؤرخون Fragmenta ، وقـــد جمع الأستاذ بيتر كل الشذرات المتبقية من مؤلفات المؤرخين الرومان في مجلدين: الأول خاص بالمؤرخين حتى عصر سُلاّ، والثاني خاص بالمؤرخين منذ عصر يوليوس قيصر حتى القرن الرابع الميلادي H. Peter: Historicorum Romanorum Reliquiac / 1 (2nd ed.) 1914. III (1st ed.) 1906.

مع العلم أن معظم ما لدينا الآن من من روايات تاريخية عن العصرين الملكي والجمهوري (مثال ذلك روايات ليفيوس وديونيسيوس وفاليريوس مكسيموس) مستمدا أصلا من كتاب الحَوليات القدامى.

أما أكبر المؤرخين الرومان على الإطلاق فهم سللوستيوس وليفيوس لعصر الجمهورية (٦) وتاكيتوس وأميانوس ماركللينوس في عصر الإمبراطورية، وحول هؤلاء المؤرخين الأربعة هناك دراسة هامة كتبها ليستنر بالإنجليزية: «كبار المؤرخين الرومان» M.L.W. Laistner the Greater Roman Historians Bertkeley, 1947

المؤرخ سللوستيوس

والمؤرخ سللوستيوس وإسمه اللاتيني هو كما يلي C. Sallustins crispus (86 ق.م - 34 ق.م) كان ينتمي إلى أسرة من العامّة ويناصر الحزب الديموقراطي (Populares) باللاتينية، ويؤيد يوليوس قيصر (7)، وكان من المعجبين بماريوس وأصبح عضوا في مجلس الشيوخ وطرد منه عام 50 ق.م بتهمة أخلاقية تولى سللوستيوس حكم ولاية إفريقيا الجديدة Africa nova التي كونها قيصر من الأراضي المنتزعة من مملكة يوبا في عام 45 ق.م وأهم مؤلفاته أي سللوستيوس حرب يوغرطة Bellum Jugurthinum (116 - 105 ق.م) وهو كتاب نشر في 41 ق.م ويحتوي على مقدمة فلسفية، وفي هذا الكتاب يذكر سللوستيوس أن يوغرطة إبن غير شرعي، وهناك من يشك في هذه الرواية. كان سللوستيوس يحاول الدفاع عن سياسة وزعماء الحزب المناوئ للسناتو (أي مجلس الشيوخ) بالكشف

عن فساد رجال الحزب الأرستقراطي Ptimates ، والرّد على الدعاية ضدّ يوليوس قيصر. وكتب تاريخا إسمه (Historide) تناول فيه الفترة 78 - 67 ولم يصلنا منه سوى فقرات ورسائل سياسية إلى قيصر القائد أو الشيخ في دستور الدولة). (Epistula ad Caesarem senem de republica)

المؤرخ ليفيوس

ومن المؤرخين الرومان المشهورين الذين كتبوا في تاريخ المغرب القديم نجد المؤرخ ليفيوس، وهو المعروف بإسم تيت - ليف بالفرنسية وباللاتينية Livius ليفيوس (59 ق.م - 17م) يعد من أعظم كتاب الحوليات الرومان، كتب تاريخ روما منذ تأسيس روما، ومن ثمّ حمل تاريخه هذا الإسم (ab urbe condita) حتى سنة 9م (موت دروسوس) ألف ليفيوس (٨) 142 كتابا، وصلنا منها 35 فقط، وهي الكتب من 1 إلى 10 التي تروي تاريخ روما من البداية حتى 293 ق.م ثم الكتب من 21 إلى 45 وتروي تاريخ روما من 218 إلى 167 ق.م (أي الحرب البونية الثانية بين القرطاجنيين والرومان) ثم الحرب المقدونية والسورية) وأما الكتب الأخرى فلم تصل إلينا منها سوى مخطوطة تتضمن جزءاً من الكتب رقم 91 وسوى فقرات وردت ضمن مؤلفات كتاب آخرين أو في شكل مختصرات باللاتينية Periochae وهي مستمدة أصلا من موجز Epitomê ضائع يرجع إلى القرن الأول الميلادي وضعت بعد عصره وهي ذات أهمية لأنها تحتوي على ملخص لجميع كتبه ماعدا الكتابين رقم 136 - 137 وتاريخ ليفيوس هو المصدر الأساسي الذي نقل عنه مؤرخون آخرون مثل فلوروس وفكتور ويوترويبوس وفستوس وآورسيوس وكاسيودوروس وتغلّب على ليفيوس النزعة الأدبية فهو أديب كبير قبل أن يكون مؤرخا كبيرا، على العموم فإن تاريخ ليفيوس ملحمة تشيد بأمجاد روما نثرا مثلما تشيد بها الإنيادة ملحمة فرجيل شعرا.

الموسوعي قادو

ومن مصنفي الموسوعات نجد قارو (٩) Terentius Varro (116 ق.م - 27 ق.م) وكان بمثابة

رجل موسوعي واسع الإطلاع بمختلف العلوم، كتب حوالي 74 سفرا تنقسم إلى 620 كتابا بالمعنى القديم للكلمة في مختلف فروع المعرفة، كتب في الفنون الحرة السبعة (10) وهي تدعى Artis Liberalis : النحو والمنطق، والبلاغة والهندسة، والحساب، والفلك، والموسيقى فضلا عن الطب، والعمارة، والتاريخ والجغرافيا والأدب وكتب في فقه القانون المدني، ووضع كتابا يشتمل على مئات من التراجم لمشاهير الرومان واليونان، وكان له مقالات تاريخية فلسفية في شكل محاورات، ومع الأسف ضاعت مؤلفاته المختصة في الآثار الإنسانية والإلهية Anti quitates Rerum Humanarum et Divinarum يقع في 41 كتابا (11) ولم يبق منه سوى شذرات أو فقرات وردت ضمن الجزء السادس من كتاب مدينة الله للقديس أوغسطين ولا تزال مصدرا رئيسيا في تاريخ الديانة الرومانية.

دور الشعر في التاريخ القديم

ومما يستحق ذكره في هذا المقام أن هناك شعراء نتزود منهم بمعلومات تاريخية تخصّ تاريخ المغرب القديم مع العلم أن الشعر اللاتيني يلقى أضواء باهرة وكاشفة على الحياة العقلية والأحوال الإجتماعية في عصر الجمهورية، وإقتبس الرومان الفنون الأدبية من اليونان ماعدا فن الهجاء ويدعى باللاتينية (Satura)، ومن هؤلاء الشاعر إنيوس Ennius (239 – 269) ويعد عميد الأدب اللاتيني بلا منازع، يمثل الروح والتقاليد الرومانية في أجلى صوّرها، وُلِدَ في منطقة كلابر بجنوب إيطاليا، وشارك الحرب البونية الثانية في صقلية، أي المرحلة الثانية من الحرب التي كانت بين الرومان والقرطاجنيين، وكان ضابطا في الجيش الروماني برتبة قائد سرية، ولعب دوراً هاماً في نقل الثقافة البونية إلى روما وهي الثقافة التي كان كاتو يناهضها مناهضة شديدة وقد تعرف كاتو على إنيوس في صقلية هذه الجزيرة التي كان جزءاً كبيراً منها خاضعا لقرطاجنة.

أما أعظم مؤلفات الشاعر إنيوس فهي الحوليات وهي نظم شعري ثمرة سنوات من الجهد، حفظ لنا الزمن منها حوالي 600 بيتا من الشعر، وكانت أطول حتى من إلياذة هوميروس وإلياذة فرجيل.

وإنيوس قام بجمع القصص المتواترة عن ماضي روما السحيق ودمجها في قصة واحدة (12)، إستعرض في الكتاب الثاني والثالث تاريخ العصر الملكي حتى قيام الجمهورية، أما الرابع والخامس فيتابعا تاريخ روما حتى قبيل الحرب ضد بيرهوس أي ملك بيرهوس (280 – 275 ق.م) وهذه الحرب هي موضوع الكتاب السادس، وتعالج الكتب رقم 7، 8، 9، الحربين البونية الأولى والثانية وكتب انيوس قصيدة سكيبيو يشيد فيها الشاعر بحملة صديقه سكيبيو أفريكانوس (قاهر إفريقيا) الأكبر في الحرب البونية الثانية التي توجها بإنتصاره على حنبعل القرطاجني في معركة زاما عام 202 ق.م والأبيات القليلة الباقية تصف عبور البحر ونصب المعسكر بالقرب من قرطاجنة (13) ونشوب المعركة، وإستقبل سكيبيو في روما بعد عودته ظافرا.

ومن مصادر تاريخ المغرب القديم ما كتبه المؤرخون الاغريق، منهم هيرودوت المشهور بتاريخه العام وقد سطر الأحداث المتعلقة بالحروب التي وقعت بين فارس واليونان بتفصيل عظيم، وفي شيْ كثير من الجمال الجذَّاب يقال أنه أول كتاب تاريخي مدون، ولد هيرودوت حوالي 484 ق.م في مدينة هاليكالوناسوس الأيونية بآسيا الصغرى فزار بابل ومصر (وكانت تعد كجزء من التراب الليبي إلتماسا للتفاصيل المضبوطة، والمشاهدات الصحيحة. وقد تعرض إلى الليبيين وعاداتهم وتقاليدهم في كتابة التاريخي.

المؤرخ بوليبيوس

ومن مؤرخي الإغريق الكبار بوليبيوس الذي يعدّ مصدرا رئيسيا في تاريخ المغرب القديم، وهناك من يرى أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد توكيديديس الأثيني. ولد بوليبيوس حوالي (200 ق.م – 120 ق.م) في ميجا لوبوليس جنوب اليونان، ويُعَد تاريخه المكتوب باليونان أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ أوائل الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني ق.م اشتغل بوليبيوس (14) بالسياسة مبكّرا. ونقل كرهينة إلى روما مع ألف يوناني من بني وطنه حيث قضى عدّة سنوات درس أثناءها أخلاق الرومان ونظمهم وتعرَّف على أقطابهم منهم أيميليوس، باوللوس، وسكيبيو أيميليانوس وأعضاء حلقة سكيبيو الأدبية الذين شجعوه على

كتابة تاريخه، وتنقل في أنحاء إيطاليا وصحب سكيبيو إلى إسبانيا في 151 ق.م وزار بولييبوس نوميديا أي القطر الجزائري ورافق سكيبيو مرة ثانية في حملته [15] الإفريقية في 147 ق.م ـ 146 ق.م تاريخ سقوط ودمار قرطاجنة وَلِذا يعد بولييبوس شاهد عيان زوال وغروب شمس الحضارة القرطاجنية. وزار موريتانيا أي المغرب الأقصى. وكتب بولييبوس تاريخا عالميا في 40 كتابا معالجا فيه الفترة من 220 ق.م إلى 144 ق.م والكتب الخمسة الأولى (1 ـ 5) كاملة وأما الكتب الباقية من (6 إلى 40) فقد وصلتنا مبتورة في شكل شذرات فضلا عن مقتطفات منها وردت ضمن مؤلفات ليفيوس وديودور الصقلي وأبيانوس وبلوتارخوس.

مفهوم بولييبوس في التاريخ

وصف العالم الألماني مومسن (Mommsen) بولييبوس «على أنه الشمس الساطعة في حقل التاريخ الروماني» أما مفهوم التاريخ عند بولييبوس فهو يعتمد على ثلاثة عناصر هي: أولها دراسة الوثائق، ثانيا معرفة الجغرافيا الطبيعية والسياسية عن طريق الملاحظة الشخصية أي السفر والتجوال لمعرفة موارد كل إقليم وإمكاناته، ثالثا الإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية بالتجربة العملية، وهذه العناصر الغاية منها إثبات الحقيقة [16]، التي هي فضيلة التاريخ الأولى وميزته الجوهرية ومن المؤرخين الإغريق الذين كتبوا عن إفريقيا الشمالية في القديم. ديودور الصقلي (حوالي 80 ق.م) (30 ق.م)، صنف مجلدا في التاريخ العالمي، وتقع مكتبته في 40 كتابا لم تصلنا منها كاملة سوى الكتب 1 إلى 5 و11 إلى 20 وشذرات من بقية الكتب 21 إلى 40 وردت ضمن مؤلفات المؤرخ الكنسي يوسيبيوس وكُتّاب العصر البزنطي.

وتناول ديودور الصقلي في الكتب الستة الأولى تاريخ الفترة السابقة على الحرب الطروادية مستعرضا أحوال الأقطار غير اليونانية منها مصر، وبلاد ما بين النهرين والهند وبلاد العرب، وإثيوبيا، وشمال إفريقيا في الكتب 1 إلى 3 / ثم الأقطار اليونانية في أوربا [17]. هذا ويجدر الإشارة إلى أن ديودور يستعرض في الكتاب الأول تاريخ مصر القديم من ملوك وأساطير وعادات، وقد زار ديودور الصقلي مصر عام 59 ق.م.

أبيانوس وتاريخ المغرب القديم

ومن المصادر الإغريقية التي اهتمت بتاريخنا القديم المؤرخ أبيانوس Appianus (95م ـ 165م)، ولد في الإسكندرية وإشتغل بالمحاماة ولعلّه عايش ثورة اليهود الكبرى. كان معجبا بالإمبراطورية الرومانية فاضطلع [18] بكتابة تاريخ روما وسار على منهج جديد قائم على أساس جغرافي إقليمي والتاريخ الروماني يتكون من 24 كتابا لم يصلنا منها كاملة إلا تسعة (6 ـ 7 ـ 11 ـ 17) وصلتنا الكتب 1 ـ 5، و8 ـ 9، في شكل شذرات أو وصلتنا ناقصة أو في صورة مقتطفات وردت ضمن مؤلفات الإمبراطور البزنطي المؤرخ قسطنين بورفيرو جنيتوس 912م ـ 959م، ويتناول الكتاب رقم 6 الحروب الإسبانية وكتاب رقم 7 حرب حنبعل في إيطاليا، وتتناول شذرات الكتاب رقم 8 الحرب البونية حتى تدمير قرطاجنة في 146 (وهي من أوفى وأصدق الروايات التي لدينا عن هذه الواقعة. ولما كان أبيانوس لم يعاصر كثيرا من الأحداث التاريخية فاعتمد على كتاب الحوليات القدامى من أمثال همينا وعلى مؤرخين من أمثال بولييبوس ويوسيدونيوس وسللوستيوس وليفيوس وبعض كتّاب عصر أغسطس أو تيبريوس وربما أيضاً نيقولاوس الدمشقي.

ومن مصادر تاريخ إفريقيا الشمالية القديم ما كتبه سترابون الجغرافي الإغريقي الذي وصف بلدان وأقوام إفريقيا الشمالية وصفاً دقيقاً، وتحدث عن قرطاجنة حديثاً مستفيضاً، وهناك مصدر آخر ذات أهمية وهو أرسطو الذي أثنى ومدح كثيراً دستور قرطاجنة وقال عنه أنه من أرقى دساتير العالم القديم، وتحدث عن مجلس الشيوخ القرطاجي وصلاحياته أيام السلم والحرب ودور الارستقراطية القرطاجنية في السلطة. والتاريخ القرطاجني يعد جزءاً لا يتجزء من تاريخ إفريقيا الشمالية القديم لأن القرطاجيين تجمعهم بالمغاربة القدماء أواصر الدم والجنس الواحد.

تاريخنا من مرآة المؤرخين العرب

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال نكران ما كتبه المؤرخون العرب في العصر الإسلامي حول تاريخ المغرب القديم، أو تاريخ النوميديين القدماء بل الأفارقة أو

أهل إفريقيا، كما كان ينعتهم العرب الفاتحون في القرن الأول الهجري وما بعده وليسواغزاة كما تذكر المدرسة الفرنسية في التاريخ.

قال عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر [19] .

حول أخبار البربر وإلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية. فيورد ما ذكره النسّابون حول أصل البربر فقال بعضهم أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان إبنه وقد تقدم ذكره عند ذكر إبراهيم عليه السلام وقال آخرون البربر يمنيون وقال أوزاع من اليمن وقال المسعودي من غسان وغيرهم تفرّقوا عندما كان من سيل العرم وقيل تخلفهم ابرهة ذو الهار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل وانتشروا في البلاد وقال أبو عمر بن عبد البر ادعت طوائف من البربر أنهم ولد النعمان بن حميد بن سبأ قال ورأيت في كتاب الاستيداد الحكيم أن النعمان بن حمير [20] . بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة وأنه استدعى أبناءه وقال لهم أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره، فراجعوه في ذلك وزعم عليه وأنه بعث منهم ومسفو أبا مسوف ومرطا أبا هسكورة وأضاك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وإيلان أبا هيلانة فنزل بعضهم بجبل دون وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعة، ونزل لمط عند كزول وتزوّج إبنته ونزل جانا وهو أبو زناتة بوادي شلف ونزل بنوورتجين ومغراوة بأطراف إفريقية من جهة المغرب [21]، ونزل مقرونك بمقربة من طنجة والحكاية أنكرها أبو عمر وبن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقال آخرون أنهم كلهم من قوم جالوت وقال على بن عبد العزيز الجرجاني النسابة في كتاب الأنساب له لا أعلم قولا يؤدي إلى الصحة إلا قول من قال أنهم من ولد جالوت ولم ينسب جالوت ممن هو وعند ابن قتيبة أنه ونوّر بن هربيل ابن حديلان بن جالود بن رديلان بن حطي بن زياد بن قحطان بن فارس، قال وفارس مشهور وسفك أبو البربر كلهم قالوا والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمّة وهي هوارة وزنانة وضرية، ومغيلة، وزيحوحة، ونفزة، وكتامة، ولواتة، وغمارة ومحمودة. وصدنية ويزدران ودنجين وصنهاجة ومحكسة وواركلان وغيرهم وذكر آخرون ومنهم الطبري وغيره (مازلنا مع رواية ابن خلدون في نفس المصدر) أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق فلما قتل جالوت، تفرّقوا وسماهم بربر وقيل أن البربر من ولد حام بن نوح بن بربر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن

حام، وقال الصولي هم من ولد بر بن كسلاجيم بن مسرايم بن حام وقيل من العمالقة من بربر بن تملا بن مارب بن قاران بن عمر بن عملاق بن ولاد بن إرم بن سام. وقال مالك بن المرحل البربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة، وكنعان، وقريش تلاقوا بالشام ولغطوا فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم وبسبب خروجهم عند المسعودي والطبري والسهيلي أن إفريقش إستجاشهم لفتح إفريقية وسماهم البربر.

الحسن الوزان وعروبة البربر

وإذا إنتقلنا من إبن خلدون إلى أبي الحسن الوزّان المعروف بليون الإفريقي صاحب وصف إفريقيا نجده يؤكد عروبة البربر قائلا: لم يختلف مؤرخونا كثيرا في أصل الأفارقة فيرى البعض أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا إلى إفريقيا حين طردهم الأشوريون فأقاموا بها لجودتها وخصبها، ويزعم آخرون أن أصلهم راجع إلى السبئيين أي الحميريين، الذين كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردهم الأشوريون، أو الأثيوبيون منها. ويدعى فريق ثالث (حسب الوزان) أن الأفارقة (أي أهل المغرب) كانوا يسكنون بعض جهات آسيا فحاربتهم شعوب معاذية وألجأتهم إلى الفرار إلى بلاد الإغريق الخالية آنذاك من السكان، ثم تبعهم أعداؤهم إليها، فاضطروا إلى عبور بحر المورة، واستقروا بإفريقيا، بينما استوطن أعداؤهم بلاد الإغريق كان هذا خاص بالأفارقة البيض القاطنين في بلاد البربر ونوميديا (نفس المصدر ص. 27 ـ 28) ... ـ والأفارقة بمعنى الكلمة فإنهم جميعاً من نسل كوش بن حام بن نوح ومهما إختلفت مظاهر الأفارقة البيض والسود فإنهم ينتمون تقريبا إلى نفس الأصل. ذلك أن الأفارقة البيض إما أن أتوا من فلسطين ـ والفلسطينيون ينتسبون إلى مصرائيم بن كوش، وإما من بلاد سبأ بن هامة بن كوش، انتهت رواية الوزان وسبأ مذكور في التوراة (X، 7) لكن السبئيين في القرآن الكريم هم رعايا بلقيس ملكة سبأ اليمنية التي جاءت سليمان (الآية رقم 27 من سورة النمل ج، 19 و15 من سورة سبأ، وسبأ في الرواية العربية هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو أول ملوك اليمن حوالي القرن 20 ق.م.) تفرق أولاده العشرة بعد سيل العرم، فكانوا أصولا منهم سكان الجزيرة العربية وأهل المغرب العربي وهذه الحقائق

التاريخية تجعلنا نعتقد في صحة رواية ابن خلدون حول أصل البربر وكذا رواية أبي الحسن الوزان ولدا يمكن إعتمادهما كمصادر تاريخية صحيحة حول أنساب وأخبار أهل المغرب القديم.

المعطيات الانثربولوجية

وحسبما قام به علماء الآثار وعلماء الأنثربولوجية من أبحاث تدعم وتساند فكرة عروبة أهل المغرب العربي منذ القديم فهناك صلات وروابط كانت قائمة بين المغاربة وأهل المشرق العربي. في العصر الحجري الأوسط عثر على فك إنسان ينتمي إلى هذه المرحلة في كهف (هو افتيح) غرب درنة واستخدم الكربون 14 لمعرفة عمر الفحم الخشبي الذي وجد في مواقد هذا الموقع والمنتمية لهذه المرحلة. وأعطى سنة 43000 ق.م كتاريخ له، وثبت من الدراسات المقارنة وجود تشابه هذا الإنسان مع إنسان نياندرتال في فلسطين العربية. كما أن هذا التشابه أيضا يمكن ملاحظته في الصناعة الحجرية المنتمية لهذه المرحلة مما يجعلنا نستنتج وجود نوع من الصلات الحضارية والبشرية بين جنوب غربي آسيا وجنوب شرقي [22] ليبيا وأجزاء أخرى من منطقة نوميديا (أي الجزائر القديمة).

وإزدادت الإتصالات والعلاقات في وقت لاحق بين إفريقيا الشمالية والمشرق العربي.

فالمعطيات التاريخية تشهد أن الفترة السابقة (ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة قبل الميلاد 3300 ق.م.) شهدت أثناءها مصر صراعا قويا بين الليبيين والمصريين ويعود السبب إلى أن الليبيين كانوا يحاولون غزو مصر بصفة كلية، وقد تم ذلك في عدّة محاولات ولا يستبعد المؤرخون أن هؤلاء الأقوام كانوا برابرة جاءوا من نوميديا.

وفي حوالي 1227 ق.م قام المصريون بردِّ غزو لأقوام [23] مختلفة نحو الدلتا، وكان ضمن هذا الجيش الغازي جيوشا ليبية جاءت من جهة الغرب والذين كانوا يُسْعَوْنَ بـ: الليبو.

ولوحظ أن أسماء زعمائهم يذكرنا بأسماء النوميديين، وليس من المستبعد أن هذه القبائل الليبية جاءت من منطقة الأطلس، ووجدت كتابات ليبية في سيناء والدلتا تدعِّم فكرة وجود همزة [24] وصل بين الليبيين ومصر بما في ذلك سيناء. وهناك قرابة

لغوية بين الكتابة الليبية والأبجد
وتمّ العثور على كتابة ليبية في س
قلب مصر القديمة في فترات
ولاحظ المعنيون بلغات
والكنعانية والعبرانية والفنيقية
والحبشية والنبطية والبربرية والت
من جوهر اللغة، وذلك في
الأفعال، وفي زمنى الفعل الرئي
أصول المفردات والضمائر والأس
أعضاء الجسم الرئيسية، وفي ت
المعنى، وفي التعابير التي تدل ع
أخرى، فقالوا بوجوب وجو
وأطلقوا على ذلك الأصل،
الأصل السامي، (emitique
الشعوب (اللغات السامية)

وقد أخذ من أطلق هذ
«سام بن نوح» جدّ هذه ال
وأذاعها بين العلماء علما على
شلوتسر [28] أطلقها عام 81
والباحثين في موضوع لغات ا
وقد أخذ (آيشهورن هذه الت
المذكورة.

وفي عام 1869 قسم
الشمالية، والمجموعة السامية
به التعبير عن هذه الروابط
أما عن موطن الساميين
لأحوال جزيرة العرب إلى أ

للساميين، وفي هذه الأرضين نبتت السامية، ومنها هاجرت بعد إضطرارها إلى ترك مواطنها القديمة لحلول الجفاف بها الذي ظهرت بوادره منذ عصر الباليولتيك هاجرت في موجات متعاقبة حملت معها آلهتها، وأولها الإله (القمر)، وحملت معها ثقافتها وخطها الذي اشتقت منه سائر الأقلام، ومنه القلم الفنيقي.

على كل حال هناك أدلة دينية ولغوية، وتاريخية وجغرافية تشير بوضوح إلى أن جزيرة العرب هي مهد السامية ووطن الساميين [29]. وقد عارض هذه النظرية طائفة من علماء الساميات، منهم العالم بلكريف الذي رأى أن إفريقيا هي المكان المناسب لأن يكون الوطن الأول للساميين، وقد كوّن رأيه من وجود تشابه في الملامح، وفي الخصائص الجنسية، وصلات لغوية بين الأحباش والبربر والعرب دفعته إلى القول بأن الوطن الأول للساميين هو إفريقية.

أما العالم جيرلند Gerland، فذهب إعتمادا على الدراسات الفيزيولوجية مثل تكوين الجماجم والبحوث اللغوية، فزعم أن شمال إفريقية هو الموطن الأصلي للساميين.

واختار برنتن Brinton شمال غربي إفريقية ولا سيما منطقة جبال الأطلس فجعلها الموطن الأصلي للساميين وهذه النظرية تتسم بالضعف [30]، ومن مواطن ضعفها أنها غضت الطرف عن الإعتبارات التاريخية وإستسلمت لدراسات لم تنضج بعد، فمن الممكن مثلا إرجاع ما لاحظه علماء اللغات السامية واللغة المصرية القديمة إلى عوامل الهجرات السامية من جزيرة العرب وعن طريق سيناء إلى إفريقية مثل هجرة (الهكسوس) وهم من أصل سامي جاءوا مصر من بلاد العرب وقد ثبت أيضا من تحقيقات العلماء أن كثيرا من الأسماء المصرية القديمة التي كانت تطلق على الأقسام الشرقية من الديار المصرية هي أسماء سامية. وإذا سوّغ علماء النظرية الإفريقية لأنفسهم الإستدلال على إفريقية الساميين من وجود القرابة اللغوية بين اللغة المصرية واللغات السامية مثلاً، فإن من الممكن إرجاع هذا القرابة إلى أثر الهجرات السامية في اللغة المصرية.

وأما تقارب الحبشية من اللهجات العربية الجنوبية وكتابة الأحباش حتى اليوم بقلم شبيه بالمسند، فلا يكون دليلا قاطعا على هجرة الساميين من إفريقية عن الحبشة إلى جزيرة العرب، إذ يجوز العكس، وقديما هاجر الساميون من العربية الجنوبية إلى

الحبشة. والساميون هم الذين كوّنوا دولة (أُكسوم) التي كانت تتكلم باللغة (الجغرية)، وهي لغة سامية، كما أن قلمها الذي يشبه قلم المسند هو وليد القلم العربي الجنوبي وكتابات (يها) (يحا) المكتوبة بالمسند، في حد ذاتها دليل على أثر العرب الجنوبيين في الإفريقيين (الكوشيين) [31]. وهذه الكتابات حديثة عهد بالنسبة إلى كتابات السبئيين كما يمكن إعتبار تشابه أسماء بعض الأماكن القديمة في الحبشة مع نظائر لها في اليمن ووجود معبد في الحبشة خُصّ بالإله (المقة) إله سبأ العظيم [32]، وأمور أخرى دينية ولغوية وأثرية، وإعتراف الأحباش بأنهم من نسل ملكة سبأ (بلقيس) (ماقدة)، من سليمان الحكيم [33]، وأن (حبشت) التي أخذ الأحباش منها إسمهم في اللغة العربية هي مقاطعة تقع في العربية الجنوبية في رأي أكثر العلماء، وأن (الأجاعز) أصحاب اللغة الجعزية هم أقدم من هاجر من اليمن إلى الحبشة، ووجود صلات قديمة بين الساحلين الإفريقي والعربي، إذا نظرنا إلى كل هذه الأمور نظرة علمية دقيقة، نجد أنها تجعل أمام القائلين إن أصل الساميين من إفريقية صعوبات ليس من السهل التغلب عليها، ولا سيما إذا أضفنا إليها الأثر الذي تركته اليهودية والنصرانية في الأحباش وفي الشعوب الكوشية الأخرى، فقرب ثقافتها من الثقافة السامية وأثر في لغتها، وهو أثر يجب أن يقام له وزن عند بحث هذا الموضوع [34].. ثم أن كثيرا من علماء الأنثروبولوجي يرون أن إفريقية تأثرت بالدماء الأسيوية. أما تأثيرها في دماء أهل الشرق الأدنى وفي دماء سكان جزيرة العرب فقد كان قليلا. لقد دخلت إليها دماء شعوب الشرق الأدنى من البحر المتوسط ومن طور سيناء ومن مضيق باب المندب. ويظهر أثر هذا الإختلاط واضحا في إفريقية الشرقية وإفريقية الشمالية، ومازال هذا التأثر واضحا حتى اليوم [35].

وهناك نظرية لها طابع جدّي، وهي تتمثل في أنّ اللغة البربرية هي جزء من اللغات الحامية السامية، وحسب أنصار هذه النظرية فإنه تُوجد وحدة بنيوية عميقة في الجانب النحوي و syntaxiques بين اللغات الحامية واللغات السامية علاوة على أن هناك عدد كبير من الجذور الكلامية أو الأصول الكلامية تعدّ مشتركة بين اللغات الحمرية والحامية والغربية والبربرية وهكذا نجد أن الأبجدية البربرية أي تفناغ والكتابة الليبية تمثل قرابة كبيرة شديدة مع الأبجدية العربية الموجودة في الجزيرة العربية [36]

نقد بعض المغالطات التاريخية

إذا تمعنّا جيّداً في الحضارة الليبية (وهي حضارة بدائية لم تصل مرحلة النضج والشمولية والعالمية مثلما وصلت الحضارة الفرعونية في مصر) فنجد أن من عناصر هذه الحضارة اللغة الليبية القديمة والتي لم يتم فك رموزها مما يُعدّ كمُعضلة للتعرف على بعض الأمور التي لها علاقة وثيقة بالحضارة القديمة كالحياة الإجتماعية والسياسية، والإقتصادية ولو أن المعطيات قليلة مع الأسف.

هناك بعض الأحكام الإندفاعية «التي يغلب عليها الطابع العاطفي بدون مراعاة جانب التحرّي والصدق والتحليل وتتجلى هذه الأحكام لبعض المؤرخين المحليين أو من القارّة السمراء من يرجعون كل رقي حضاري عرفه المشرق العربي وبخاصة مصر القديمة، فيرجعون ذلك إلى أصول إفريقية أو نوميدية...! ولكن نتساءل هل صدقوا فيما ذهبوا إليه...؟ (37)،

كيف يمكن أن يُجزم أن الليبيين الذين حكموا مصر في 945 ق.م جاءوا من نوميديا بالذات. وليس هناك براهين مادّية قارّة تثبت ذلك ونفس الوضع مطروح فيما يخص البرهنة على أن عبادة أمون ـ رع الفرعوني في مصر الفرعونية هو من أصل نوميدي مع أنّه يكاد يكون من باب التوكيد أن أمون رع من أصل فرعوني مصري محض تمّ إنتقال عبادة أمون إلى أرض المغرب عن طريق مصر وليس العكس، وهناك إجماع كبار المؤرخين على ذلك. أما إثبات أن بعل حمون وتانيت وهما معبودان فنيقيان تم ظهورهما أصلا في بلاد المغرب القديم، فهذه الفكرة ليس لها أساس تاريخي ولا ديني لماذا...؟

لأن بعل حمون وتانيت وهما معبودان من أصل فنيقي وبعل بالبونية يعني «المعلم» أو السيد أو المالك ومؤنث بعل هي بعلات أما الجمع فـ بعـــاليم، وفي نصوص التوراة (38) جاء ذكر المعبودات الأجنبية بإسم بعاليم.

وإسم بعل له علاقة بإسم جبل في فنيقيا بعل تسافون أوسافون وهذا الجبل يقع شمال أوغاريت في سوريا ويمكن العودة إلى سنيسر الذي بحث في الأمر وله مقاله عنوانها: أساطير وآلهة الديانة الفنيقية وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة الآثار بالفرنسية أركيولوجيا ———— Sznycer,
Mythes et dieux de la religion phénicienne (in archeologie fév. 1968.

وبعل حمون نجد له ذكرا في نصوص أوغاريت ونصوص التوراة كما سلف ذكره، وفي المعابد المقدسة بقرطاجنة، وورد إسم بعل في الأشعار الأوغاريتية على أساس أنه إله الخصوبة، وأطلق عليه إسم «النور» وهو أيضا إله محارب يجابه خصوم الحياة، وبخاصة رب الموت، ويدعى باللغة الفنيقية «موت» وهنا يظهر الشبه الكبير بين الفنيقية والعربية في ذكر نفس المصطلح أي «موت»، وأمير البحر «يام» Yum مع العلم أن هناك كتابة أثرية عثر عليها بالقرب من خليج الإسكندرونة عثر فيها إسم حمون بالحاء وليس بالألف (39).

بعل حمون من أصل فنيقي

وهناك بعض المؤرخين الذين يدمجون بعل حمون بالإله المصري أمون الذي تمت عبادته في المنطقة الليبية أو النوميدية. وقد جرى هذا قبل وصول الفينقيين إلى إفريقيا الشمالية أو إلى قرطاجنة على الأصح، ويؤيد هذه الفكرة كركوبينو Carcopino الذي يرى أن رع المعبود المصري، وبعل حمون الفينيقي كلاهما يعنيان عبادة الشمس ويرى أن عبادة أمون ظهرت في برقة منذ العصر النيوليتيكي وكذا في الجنوب الجزائري. ومن المسلم به أن عبادة أمون جاءت من مصر ولأن مصر كانت في العصر النيوليتيكي المغربي في قمة الحضارة والإزدهار بينما أرض المغرب كانت تمرّ بمرحلة حضارة بدائية جداً لا تستطيع أثناءها أن تصدر حضارتها أو تكون كمركز إشعاع حضاري لأن الشروط الضرورية لم تكن متوفرة يومئذ.

وممّا يجب ذكره أن مصر الفرعونية عرفت تطوّرا حضاريا كبيرا بدأ منذ عصر بناة الأهرام، في حوالي 35 قرنا قبل الميلاد إلى عهد رمسيس الثاني الذي جعل طيبة عاصمة دولية وإنتهاءً بعصر البطالمة في القرن الرابع ق.م. الذين جعلوا الإسكندرية عاصمة لهم، وفي كل هذه المراحل التاريخية عرفت مصر إزدهارا حضاريا في جميع الميادين رغم النكبات التي تعرضت إليها في مراحل تاريخها الطويل.

ويجب أن يتم التمييز بدقّة في حرف (ح) الموجود في حمون (أي بعل حمون) ووجود الحاء يُميِّز حمون عن أمون، وإن لفظ حمون مشتق من الجمع الفينيقي

حامين ومعناه الحرارة والتي نجد لها مقابلا في اللغة العربية «حام» وكما هو معلوم أن مفهوم الحرارة هنا يستمد معناه من حرارة الشمس، وله علاقة بمهام الإله القرطاجني «بعل حمون» وحسب الإكتشافات الأبرية والمعطيات التاريخية فإن هناك توكيد أن بعل حمون يمثل إله الشمس ونجد إسمه مصحوبا بأسطوانة مجنحة (40)

وعلاوة على ذلك فالمعطيات التاريخية تشير أو تذكر لنا أنه كان من العادات الدينية المتَّبعة أن القرطاجنيين كانوا يقدمون أولادهم أو أبناءهم الأوائل فِداءً على شرف بعل حمون في نار موقدة. وهكذا نخرج بإعتقاد جازم أن بعل حمون يمثل سيد المواقع الساخنة أو الحارَّة. ونقل عبادة بعل حمون المهاجرون الفينيقيون الأوائل وكان من جملة مضمون وطقوس هذه العبادة تقديم الأطفال لحرقهم أحياء كنوع من الفداء للإله بعل حمون، وهو نوع من الفداء البشري.

أما ديودور الصقلي عندما يتحدث عن فدية الأطفال في قرطاجنة، فإنه يدعو بعل، حمون بكرنوس Kronos .

ولكن هناك معبودات أخرى تمَّ إندماجها مع بعل حمون مثل زيوس، وجوبيتر، هذا حسب ما يذكره القديس أوغسطين، ولكن في عهد الإحتلال الروماني نلاحظ أن زيوس حلَّ مكان أبيه كرونوس، مثلما حلَّ بعل مكان إيل على رأس أو قمة آلهة أوغاريت في رأس الشمرة بفنيقيا أي لبنان حالياً.

تاريخ الصحراء الجزائرية

إن النقص الموجود والملاحظ يخصّ ما كتبه المؤرخون الجزائريون حول تاريخ الصحراء، فهي أعمال ضئيلة وليست في المستوى المطلوب من الناحية العلمية والتاريخية والفكرية، سواء أكانت باللغة العربية أو الفرنسية، وأستثني من ذلك ما قام به من دراسات أكاديمية المركز الوطني لما قبل التاريخ والأنثربولوجيا Le Crupe أما ما عدا ذلك فقيل حول تاريخ الصحراء الجزائرية في المرحلة التاريخية أي بعد ظهور الكتابة ولا أدري ماهو السبب الذي جعل الجزائريون لا يهتمون ولا يكتبون عن تاريخ منطقة الصحراء...!

إهتمام الغربيين بالصحراء

إهتم الغربيون بالصحراء الجزائرية فقام المستكشفون والرواد الأوربيون بالكتابة عن الصحراء الجزائرية بعد زيارات متتابعة لها بحثا عن المجهول، ولرفع الغموض المتعلق بالمواقع الجغرافية والجيولوجية والأثرية. وكان هؤلاء الروَّاد يقومون برحلات في الصحراء بإسم جمعيات جغرافية وتاريخية. منهم شاب ألماني يدعى هورنمان Horneman ترك لنا دراسة سجل فيها الأحداث التي صادفها والعقبات التي واجهها منذ بداية رحلته حتى نهايتها المبكرة. وترجمت الرحلة من الإنجليزية إلى الفرنسية تحت عنوان (41)، سفر في إفريقيا الشمالية من القاهرة إلى مرزوق. مع العلم أنه قام بهذه الرحلة في أواخر القرن الثامن عشر.

وإستعان الرواد المستكشفون الأوربيون بما كتبه المؤرخ الطبيعي الروماني القديم بلين Pline 23 ق.م ـ 79. وإسترشدوا بما كتبه، واعتمدوا أيضا على ما ذكره هيرودوت في كتابه التاريخي، وسلكوا بعض طرق الصحراء إلى وصفها بلين. والمعروف أن طريق طرابلس الغرب هي التي سلكها الرومان للتوغل في الصحراء الكبرى وتعدّ إمتدادا صحراويا يصل إلى إفريقيا السوداء.

المستكشف هنري بارث

ومن المستكشفين الأوربيين الذين زاروا الصحراء الجزائرية نجد هنري بارث H. Barth الإنجليزي الذي قاد بعثة استكشافية في القرن التاسع عشر قادته من «طرابلس» إلى «آير» ثم جبال تاسيلي آجر وحمل هذا المستكشف الإنجليزي معه ثلاثة كتب هي: القرآن الكريم والعهد القديم من التوراة، وتاريخ هيرودوت. وبعد وفاة بارث عثر على عبارة كتبت بخط يده: «هيرودوت» رفيقي كل يوم في السفر، إنني أُجله وأجده ثمينا، بحيث لا يمكن تقدير ثمنه.

ومن المستكشفين الإستعماريين الرائد الفرنسي هنري دوفيريي، الذي عاش في القرن التاسع عشر وأوسكار لانز النمساوي الذي قام برحلة إستكشافية في الصحراء الجزائرية وفي الهقار بالذات كلَّفته بها الجمعية الجغرافية ببرلين ولعلّ أهم مساهمة قدمها هذا العالم الطبيعي إلى الأبحاث الصحراوية هي إكتشافه لآثار حديثة للتماسيح

في بعض أودية المنطقة التي إستكشفها في سلسلة جبال آير الهجار التي يقطنها طوارق الجنوب الجزائري. وإن إكتشافه هذا يدل على بقاء هذه الحيوانات بعد موت الأنهار الكبيرة التي كانت تجري في العصر الجليدي، بعشرات القرون. وعاد لانز أوسكار من الصحراء بثروة عظيمة من المعلومات والملاحظات العلمية التي سجلها عن الصحراء والصحراويين في كتابه الذي نشره في باريس في 1886 _ 1887 وعنوانه سفر إلى المغرب والصحراء والسودان.

ثم قامت شابة هولاندية برحلة إستكشافية بسيوة جنوب مصر وبرحلة أخرى في جبال الهقار ولكن تمَّ اغتيالها في الصحراء الجزائرية ولم يتجاوز عمرها بعدُ ثلاثين سنة فقط. وكانت قد حصلت على حماية ملك الطوارق أمينكال ولكن خصوما له باغتوها فقتلوها.

مساهمة شارل دوفوكول المريبة

ومن رواد الإستكشاف المبشر المسيحي المتعصب شارل دوفوكول، ويعتبر أكبر مستكشف ديني مسيحي للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة لأنه كان ذوي ثقافة عملية ممتازة (فهو خريج مدرسة سانسير ويحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان والتبشير للطيب ويجد لذَّة في المتاعب وفي التضحية بالراحة، ومتع الحياة، وبدأ دوفوكول حياته الإستكشافية برحلة إلى المغرب الأقصى في 1883 _ 1884، وكانت المعلومات الدقيقة والغزيرة التي جمعها خلال رحلته هذه دليلا قيّما وموثقا به، بعد ذلك بنصف قرن للقوات الفرنسية الإستعمارية التي كانت تقوم بعمليات تهدئة في جنوب المملكة المغربية، وقام برحلة أخرى إلى الصحراء الجزائرية زار خلالها الأغواط وغرداية والقليعة وورجلان وتوقرت... الخ. وقد أفضت به هذه الرحلة إلى الجنوب التونسي، وإلى قابس، واستقر به المقام أخيرا في مدينة تامنغست بأقصى جنوب الصحراء الجزائرية حيث قرَّر أن يبني ديراً له. وفي فترة لاحقة شيَّد القَسيس المبشِّر مبنى خاصا لسكنه على إحدى قمم الهجار، تسمى «إسكريم» ويبلغ إرتفاعها 2700م، وهذا لكي يقيم في عزلة وتأمل.

وكان يهدف من إستقراره في الصحراء الجزائرية القيام بالتبشير للدين المسيحي بين المسلمين من الطوارق بطريقة بسيطة وساذجة ولو أنه لم يفلح في جلب الأهالي

نحو المسيحية وإلى جانب نشاطه التبشيري قام دوفوكول بنشاط، أهمه عنايته بلغة الطوارق بتماشيق وبكتابتها «تيفيناغ» التي تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفنيقية وهذا يدل على أن الطوارق والفنيقيين والعرب والبربر من أصل واحد موطنهم الأول هو الجزيرة العربية وبلاد الشام. وقد عمل دوفوكول في هذا الحقل عدة سنوات بصبر ومثابرة وجمع وثائق هامة، وأهم المؤلفات التي ظهرت له في حياته في هذا الموضوع هما «نحو لغة» «تيفيناغ» وقاموس فرنسي طوارقي.

وبعد إغتياله من قبل الطوارق المسلمين الأبطال في 1916 عير في منزله بتامنغست على مادة «موجز قاموس فرنسي _ طوارقي» نشر في مجلدين ويبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة، وترك نصوصاً طوارقية مترجمة إلى الفرنسية تشكل مجلدين من الشعر والنثر الطوارقي.

الرسوم الصخرية في الصحراء الجزائرية

إكتشف الرحالة والمستكشفون الأجانب أن هناك رسوم صخرْية في الصحراء الجزائرية تعود إلى العصر الحجري الحديث، مع العلم أن هذه الرسوم منتشرة في مناطق عديدة من الصحراء الجزائرية والمغربية، والليبية، وتوجد أيضاً في الأطلس الصحراوي إبتداءً من حدود المغرب الأقصى غرباً حتى مرتفعات الأوراس شرقاً.

أما أول من إكتشف الرسوم الصخرية فهم أهالي منطقة الصحراء الجزائرية وهم الذين دلّوا المستكشفين الغربيين على مواقعها في وسط الصخور الجبلية. وبدأ الغربيون دراساتهم سقوش الحجرية في مطلع القرن العشرين على يد فلامون J.B.M. Flamand الـذي جعل منها مرتعاً ومادةً لأبحاثه التي قام بها على مدى أربعين عاما. وكانت ثمرة جهوده إصداره كتابا عنوانه الصخور المكتوبة Les pierres écrites في 1921 ويعد هذا الكتاب مرجعاً لمن جاء بعده من باحثين وبيَّن أن النقوش الحجرية تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول حفرت بالحجر «الصوان» وهي عبارة عن خطوط عريضة عميقة منتظمة.

النوع الثاني وهي نقوش أصغر حجما منقوطة بنقط غير متقنة مرفوقة بخطوط ليبية

بربرية وهذه النقوش تمثل حيوانات مختلفة منها أنواع إنقرضت، ومنها ما يزال باقيا إلى يومنا هذا مثل الجمل.

النوع الثالث: هي رسوم حجرية رسمت برفق تمثل كتابات عربية كتبت بعد الفتح الإسلامي أي بعد القرن الأول الهجري.

وجاء بعد فلامون الضابط الفرنسي الإستعماري Brenant برونان وإكتشف رسوما صخرية في منطقة تاسيلي ناجر.

فيما يخص مناطق إنتشار الرسوم الصخرية فهي موجودة في الجنوب الوهراني... أي في منطقة التورات والريشة، وفي جنوب الوسط الجزائري بجانب بوجمل وثنية المزاب.

وتوجد رسوم صخرية في الشرق القسنطيني بعين وقادة وكاف لمساورة.

أما في التاسيلي ناجر فمواقع الرسوم الصخرية الكبرى توجد في أعالي الهضبة الواقعة شمال وشمال شرق مدينة جانت كموقع صفارن وجبارن، وتامريت...الخ.

وفي الهقار يعد مرتفع تيفدست من أغنى الأماكن بالرسوم والنقوش، وهناك مواقع أخرى بالقرب من تامنغست.

تطوّر الأبحاث حول الرسوم الحجرية

ولقد إنكبت الدراسات حول الرسوم الصخرية كظاهرة أثرية تستحق البحث فقام الباحثون الفرنسيون بأبحاث علمية في هذا المضمار، ولا سيما أنهم وجدوا مساعدات الحكومة الإستعمارية للقيام برحلات إلى الصحراء الجزائرية وزودتهم بالمعلومات والوسائل اللازمة ونضرب على سبيل المثال في هذا الشأن العالم الفرنسي ريقاس Reygasse ، الذي شغل منصب مدير متحف باردو للآثار بمدينة الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وقام بتحليل مجموعة من النقوش الصخرية التي عثر عليها في تاسيلي ناجر، فلاحظ أنه من الممكن التمييز بوضوح بين فئتين من الرسوم: إحداهما تمثل أهالي بدائيين يمارسون القنص والقطف، والثانية تصوّر قوماً ينتمون إلى عصر أحدث زمنيا وهم في هذا النوع الثاني يمارسون نشاط الرعي، ونسب ريقاس رسوم الفئة الأولى وهي رسوم بدائية إلى السكان الأصليين في المنطقة بينما النوع الثاني فقد نسبها إلى غزاة

جاؤوا إلى المنطقة فيما بعد. وعندما عقد المؤتمر الإفريقي الأول للآثار في مدينة الجزائر، قدمت رسوم صخرية عديدة وتبين أن هناك ظاهرة فنية تستدعي الإنتباه وتكوّنت لجنة علمية للإهتمام بهذا الجانب، وأرسلت بعد ذلك لجنة علمية إستكشافية كان يرأسها هنري لوط Henri l'Hote وتابع هذا الباحث أثر العربات في الرسوم، فاستنتج بعد البحث أنها رسوم حديثة جدا تعود إلى العهد الروماني، وهذه الرسوم (حسب إفتراضه) تشير إلى حملة رومانية إجتاحت الصحراء.

واعتمد هنري لوط في معرفته لمواقع الرسوم الصخرية على مرشد طوارقي من أبناء الهقار الذي أرشد على مواقع عديدة كانت مجهولة للباحثين الغربيين.

بعد تحليل العمر الزمني للرسوم تبيَّن أنها تنقسم إلى مراحل خمسة، في المرحلة الأولى والثانية تتسم الرسوم بالطابع البدائي وهي تعود إلى 6000 ق.م.

أما المرحلة الرابعة والخامسة فهي تعود إلى العصر النيوليتيكي المتأخر أي 2000 و1500 عام ق.م، ونشاهد فيها ظهور الجمل كحيوان أليف.

مكانة تين هينان في الصحراء الجزائرية

إن إكتشاف الرسوم الصخرية في الصحراء الجزائرية من قبل الباحثين الغربيين كان ذلك حافزاً لمواصلة البحث في أعماق التاريخ الجزائري القديم النابض بالعبر والذكريات التاريخية الحقّة.

وتوصّل الباحثون الفرنسيون إلى إكتشاف جديد في الصحراء سلط أضواء كاشفة على ماض الطوارق التليد، ويتجلى ما عثر عليه من ضريح تين هينان الملكة الأسطورية التي عاشت حوالي القرن الخامس الميلادي (حسب تقدير الأنثربولوجيين للضريح). وقد اكتشف ضريح تين هينان في مطلع القرن العشرين، وكان ذلك نتيجة حفريات وقعت في 1925م.

ويقع ضريح تين هينان في ذروة هضبة إرتفاعها 914م، فوق ملتقّى أودية تيفيرت وأباليسا، والضريح هذا قريب من قرية أباليسا الواقعة على بعد 80 كلم غرب تامنغست، أما البعثة التي اكتشفت الضريح وعثرت على جثة تين هينان، فهي بعثة فرنسية ـ أميريكية مشتركة تجمع موريس ريقاس الفرنسي، والكونت بيرون

كوهن ديبرورك الأميريكي. وفي 1933 قامت بعثة ثانية بقيادة ريقاس وكانت ترمي إلى القيام بأعمال حفر أثري في الغرف الأخرى، وكذا في القبور الأخرى المحيطة بضريح تين هينان.

وعثرت بعثة 1925 الآنف ذكرها في الضريح على بعض الأواني، والأثاث والمجوهرات.

تين هينان... ماهيتها

وتين هينان تعني في لغة الطوارق: ذات الخيام. فكلمة إيهن وجمعها إيهنان تعني في لغة الطوارق ذات المخيم لكنها قد تعني أيضا ذات الغُرف، هذا ما جعل البعض يعتقد أن تين هينان أي الشخصية المدفونة في هذا الموقع بالذات تم تعريفها بلقب مستعار، لأن الشخصيات أو المقدسين كثيرا ما تضيع أسماؤهم الحقيقية فيُعْرَفون بأسماء مجَازية تسمح إليهم بالتسامي عن طبيعتهم البشرية.

وتين هينان كانت إمرأة زعيمة في وسط مجتمع الهقار أو مجتمع الطوارق، وقد جاءت إلى الهقار من تافيلالت على متن ناقتها، وكانت ترافقها خادمتها تيقامت. وتين هينان تعد اليوم في الهقار رَمزا ثقافيا معتبرا وهذا ما جعل أحد الشعراء ينشد تين هينان في قَصيدته قائلا ما معناه بالعربية:

إن تين هينان هي أول من صنعت إيمزاء عن طريق حبَّة قرع، وحصلة وَبَر من ناقتها.

وإيمزاء هنا معناه آلة كمان ذات وتر واحد وإذا تمعنا جيِّداً في خبايا شخصية تين هينان فإننا نجدها تحمل في طيات شخصيتها الأسطورية حقائق تاريخية.

طوارق الصحراء الجزائرية

وحديثنا عن تينْ هينان يجرنا إلى الحديث عن الطوارق الذين طبع وجودهم في الصحراء الجزائرية بطابع خاص مميَّز وهم رمز الأنفة والشجاعة والنخوة والعزَّة.

إن الطوارق يجمعهم بالعرب أصل واحد وهذا ما يفسر دخولهم في الإسلام بصفة عضوية لأنه دين الحق وحسب ما ذكره إبن خلدون في كتابه العِبر ينتمي الطوارق إلى قبائل المتونة الذين لهم صلة قرابة مع صنهاجة المُلَثَّمين وأوربة، وهذه الجماعات كان من عادتها الترحال إنطلاقا من شواطئ المحيط الأطلسي جنوب أكادير

المغربية وسيدي إفني والصحراء الغربية الساقية الحمراء ووادي الذهب إلى الصحراء الجزائرية، ثم الصحراء الليبية.

وتاريخ الطوارق يشكو نقصا كبيرا ويعود ذلك إلى قلّة المصادر والمعلومات، ولكن هذا لا يمنعنا من تصوّر حياة المجتمع الطوارقي عبر التاريخ، ولا سيما أن لديه تراث ثقافي يضرب في أعماق التاريخ وازداد أصالة وتماسكا بعد الفتح الإسلامي المبارك وهذا ما يفسر محاربة ومقاومة أهل الهقار للمستعمرين الفرنسيين من مكتشفين ومبشرين أرادوا تدنيس عقيدتهم الإسلامية السمحاء.

لقد كان يحكم مجتمع الهقار عبر التاريخ (أي في العصور الحديثة حكام من الأشراف الميسرين يعودون بأصولهم الأولى إلى غرب الصحراء).

وطوارق الهقار كانوا يعيشون تحت سلطة العشائر الثلاثة التي تُشكل النبل وهذا ما يدعى بـ (إيهقارن) والنبل في عرفهم قوامه الحرب، أي حماية مجموعة الطوارق ضد سيطرة قبائل الدُحَّل المجاورين.

وإذا كان التمسك بالسلطة مرهون بالقوة الحربية والتحكم في الأرض أو المجال الحيدي، وإن هناك ظاهرة خاصة عند الطوارق وهو أن القائد الجديد، الذي يخلف الزعيم السابق في القيادة لابد أن يتم هذا الإختيار حسب وضعية أمه، وهناك من يرى أن ذلك يعود من بقايا ورواسب نظام الأسرة المعتمد على الأموية. ومن التقاليد أو العادات المتبعة عند طوارق الهقار أو عشائر الهقار أنهم يحددون هويتهم وفقا لعشيرة أمهاتهم (تاوزيت). وهكذا يستمرون في إرتباط بخيمة أخوالهم ويلاحظ أنهم يأتون لهذه الخيمة في أواخر أيامهم بعدما قضوا أعز أيامهم في خيمة الوالد الحنون (أي مُدّة طويلة من عمرهم).

وهناك من يعتقد أن ظاهرة الإنتساب إلى الأم لها جذور تاريخية تعود إلى ما قبل الإسلام. ويحافظ هذا الإنتساب في تعذير السلطة المحلية على مستوى القبيلة ولا سيما أن أعيان الهقار يسافرون كثيرا مما جعل المرأة تلعب دوراً كبيراً في توطيد العلاقات وإحترام قوّة القبيلة والدفاع عن إستمراريتها في الجهة المعنية كعنصر موجود بصفة دائمة ومستمرة.

هوامش:

(1) أنظر كتاب هيرودوت بالفرنسية:

Hérodote, œuvre complète A. Barget, Gallimard - Belgique 1970.

وتوجد دراسة هيرودوت بالفرنسية عن الليبيين كتبها ستيفان قزال المؤرخ الفرنسي عنوانها: القدماء مع النص الإغريقي Stéphane Gsell, Hérodote Université d'Alger paris 1916.

(2) أنظر لمزيد من التفاصيل في هذا الشأن: دكتور محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب (1) طبع جامعة محمد بن سعود الإسلامية المملكة السعودية 1980 / لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر.

(3) أودّ أن أشير أن قرط حدشت أي المدينة الحديثة ونجد نفس التعبير في اللغة الفنيقية وفي اللغة العبرية ونفس المصطلح يقرب من المصطلح الغربي في لغة الفاد، ولابأس من إستعمال قرطاجنة لأن ابن خلدون والطبري وأحمد توفيق المدني يستعملون قرطاجنة للدلالة على قرطاج وساد هذا اللفظ الأخير (قرطاج) أخيرا وتداوله بكثرة الإخوة المؤرخين في تونس ويعود باللغة الفرنسية Carthage فإستعملوها بكثرة ونسوا اللفظة العربية للدلالة على مدينة قرطاجنة التونسية والتي تداولها كما ذكرت المؤرخون العرب وهي قرطاجنة بالنون والتاء في الأخير وأنا أُحبِّذ استعمالها أفضل من قرطاج ويجب أن نميز بين قرطاجنة وقرطاجنة الجديدة في إسبانيا Nova Carthago لأنه شتان ما بينهما من فروق لأن المدينة الثانية حديثة النشأة بالمقارنة مع الأولى.

ولذا لابد من تجنّب التعنث، الذي بتشبت به بعض المؤرخين الجزائريين في أمور لا تخدم البحث العلمي في التاريخ لا من قريب ولا من بعيد سامحهم الله.

(4) وعنوان الكتاب باللغة الإنجليزية هو كما يلي:

Egbert, Introduction to the Study of Latin inscription Revised édition supplément New York Chicago 1906.

(5) أنظر د. عبد اللطيف أحمد علي: مصادر التاريخ الروماني / ص 5 بيروت 1970.

(6) نفس المصدر ص. 13.

(7) نفس المصدر ص. 13.

(8) نفس المصدر ص. 15.

(9) نفس المصدر، ص. 26.

(10) نفس المصدر، ص. 26.

(11) نفس المصدر ص. 11.

(12) نفس المصدر، ص. 37.

(13) نفس المصدر، ص. 37.

(14) نفس المصدر، ص. 55.

(15) نفس المصدر، ص. 15.

(16) نفس المصدر، ص. 55.

(17) نفس المصدر، ص. 60.

(18) نفس المصدر، ص. 63.

(19) أنظر كتاب عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام الغرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ الجزء السادس صفحة 93، دار الكتاب اللبناني بيروت 1968.

(20) نفس المصدر، ص. 93.

(21) نفس المصدر ص. 93.

(22) يمكن العودة إلى مقالي: من أجل كتابة موضوعية لتاريخ الجزائر والمغرب القديم د. أحمد السليماني، في مجلة التاريخ التي يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية ـ النصف الثاني من سنة 1985. وقد تعرضت إلى الأصول العرقية للأمة الجزائرية في هذه المقالة ـ ص.ص 87ـ96 رقم 20 ـ الجزائر.

(23) أنظر الكتاب الذي ألّفه بالفرنسية بوسكي البربر وعنوانه كما يلي: ص. 26.

G.H. Bousquet, Les berbères p.26.; Presse universitaire de France.

(24) نفس المصدر ص. 27. Ibid p.27

(25) نفس المصدر، ص. 28. Ibid p.28.

(26) أنظر جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 1 / دار العلم للملايين مكتبة النهضة، ص. 222 ـ بيروت الطبعة الأولى، مايو 1968.

(27) نفس المصدر، ص. 223.

(28) نفس المصدر، ص. 223.

(29) نفس المصدر، ص. 233.

(30) هناك مجموعة من العلماء أيّدوا هذه النظرية واستحسنوها مثل برتن Bertin, و(نولدكه)، و(موريس جسترو) و(كين) وربلي ويمكن العودة إلى:

Bertin, Journal of the Anthropological Institute, XI, 431 (1882)

وهناك كتاب برنتن Brinton

Cradle of the Semites Philadelphia 1890, Races and Peoples, New York, 1890 p.132, Enc. of Religions and Ethics vol. II, p.380.

(31) د.جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 1، ص. 236 237

(32) نفس المصدر، ص. 237.

(33) نفس المصدر، ص. 237.

(34) نفس المصدر، ص. 237.

(35) نفس المصدر، ص. 238.

(36) G.H. Bousquet, Les Berbères p.22.

(37) Préface à G. Picard, les religions de l'Afrique p.3.

(38) أنظر: Salah Eddine Tlatli : La carthage purique p.184-187.

(39) نفسَ المصدر، ص. 184. Id. Ibid p. 184.

(40) نفس المصدر بالفرنسية، ص. 185.

(41) Vori Horrneman, voyage dans l'Afrique septentrionale depuis le caire jusqu'à Mourzouk.